

سُورَةُ قَصَّةٍ



النَّزْوُلُ: مَكِيَّةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين ، وتسريحة نفوسهم .
- ٢ - بيان أصول العقيدة: التوحيد والرسالة والبعث .
- ٣ - تعظيم القرآن الكريم ، والدعوة لتصديقه والعمل به .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْفُرْقَانَ الْمَجِيدِ ﴾١﴿ بَلْ يَعْبُو أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ يَعْجِبُ
 أَعْدَادًا مِنْنَا وَكُنَّا نُرَبِّي ذَلِكَ رَجُلًا بَعِيدًا ﴾٢﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾٣﴾

التفسير:

١ - ٣ - ﴿قَ﴾ تَقدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطَّعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيانًا لِعِجَازِ القرآن. وقسمًا بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف على كلّ كلام، إنَّك يا محمد رسول الله حقًّا، وإنَّ البعث لَحَقًّ. بل عجب كُفار مكة أن جاءهم مُنذِرٌ من جنسهم فاستنكروا. وقالوا: هذا شيءٌ يُتعَجَّبُ منه! أَإِذَا متنا، وتَفَتَّت عظامُنا مع التراب نُبعث أحياء؟ ذلك البعث بعيد الواقع لا نُصدِّقه!

٤ - قد علِمْنَا علَمًا قاطعاً ما تنقصه الأرض من أجسادهم، وتأكله من لحومهم ودمائهم إذا ماتوا، وعندها أيضًا كتاب حافظ لذلك، ولكلّ ما يجري في حياتهم ومماتهم وبعثهم.

٥ - فلم يُصَدِّقو ما جاء به النبي ﷺ من الحقّ، بل كَذَّبُوا به حين جاءهم، فهم في أمرٍ ملتبسٍ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وصف القرآن بالمجيد؛ لمجد منزلته، ولأنَّ مَنْ آمن به وعمل نال المجد والعزَّة في الدارين.

٢ - قال قتادة: «معناه مَنْ ترك الحق مرج إلية أمره، وألبس عليه دينه». وقال الحسن: «ما ترك قومُ الحقَّ إِلَّا مَرَجَ أَمْرُهُمْ». (تفسير البغوي: ٤/٢٧١).

٣ - حُجَّاجُ الْكُفَّارِ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ حُجَّاجٌ وَاهِيَةٌ.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَرَبِّنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾٦٠١ وَالْأَرْضَ مَدَدَنَهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوَسِيَّ وَأَبْيَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَزْقٍ يَهْمِيجُ ﴾٦٠٢ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾٦٠٣ وَنَزَّلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرِّكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾٦٠٤ وَالنَّخْلَ بَاسِقَتِهَا طَلْعُ نَصِيدُ ﴾٦٠٥ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا كَذَلِكَ الْمُرْفُوْعُ ﴾٦٠٦ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصَحَّبُ الرَّسُّ وَثَمُودٍ ﴾٦٠٧ وَعَادٌ وَفَرْعَوْنُ وَإِخْرَانُ لُوطٍ ﴾٦٠٨ وَأَصَحَّبُ الْأَيْكَةَ وَقَوْمُ شَعَّ بِكُلِّ كَذَبِ الرُّسُلِ حَقَّ وَعِيدٍ ﴾٦٠٩ أَفْعَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلَ بِلْ هُمْ فِي لَسِنِ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾٦١٠﴾

التفسير:

٦ - ٨ - يُنِكِّرُ الله تعالى على هؤلاء الكفار بالبعث: أفلم ينظروا نَظَرَ تَدَبُّر إلى السماء الدنيا فوقهم كيف رفعناها بلا عَمَدٍ، وزَيَّناها وما ترى لها من شقوق ولا عيوب، والأرض فرشناها ووَسَّعناها، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت تحفظها من الاضطراب، وأنبتنا فيها من كُلِّ نوع من النبات بهجة للناظر من حسن ألوانه وثماره؟ خلقنا هذه الآيات الكونية العظيمة؛ تبصيراً منا للعباد، وتذكيراً لهم بكمال قدرتنا لكل عبدٍ مُّقْبِلٍ على الله بالحُبِّ والخوف والرجاء.

١١ - ٩ - وَنَزَّلَنَا من السحاب مطراً كثیر الخيرات والبركات، فأخرجنا به البساتين الناضرة، وحبوب الزرع الممحصود، وأشجار النخيل العالية ذات الشمار المتراكبة بعضها فوق بعض. أنبتنا هذه الخيرات رزقاً للعباد؛ ليتتفعوا، وأحیيـنا بهاـذا الماءـالمبارـكـالأـرـضـالمـيـتـةـالـجـدـبـةـ، فصارـتـ ذاتـمـروـجـ خـضـراءـ. مـثـلـ هـذـاـ الإـلـحـيـاءـ نـخـرـجـكـمـ أـحـيـاءـ مـنـ قـبـورـكـمـ.

١٢ - ١٥ - يُهَدِّدُ الله تعالى مُنْكِري البعث، فيذكر لهم الأمم التي كَذَبَتْ قبلَهُمْ، كقوم نوح وأصحاب بئر الرس، وقوم ثمود وعاد وفرعون وقوم لوط، وأصحاب الشجر الملتف في مدين من قوم شعيب، وقوم تُّبع الحميري. كُلُّهم

كَذَّبُوا رَسْلَهُمْ فَوْقَ بَهْمِ الْعَذَابِ، ثُمَّ أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: أَفَعَجَزْنَا فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ حَتَّى نَعْجِزَ عَنْ إِعَادَتِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ لَا يُعْجِزْنَا ذَلِكَ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ وَاضْطِرَابٍ مِّنْ أَمْرِ الْبَعْثِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - إثبات البعث بأدلة حسية مشاهدة.
 - ٢ - وجود الإنسان دليل على إمكان وجوده في حياة أخرى، فالذي خلقه قادر على أن يعيده كما بدأه. (السراج المنير: ٤/٥٠).
 - ٣ - لم يقيّد في قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لِّلْعَبَادِ﴾ العباد بالإنابة، وقيّده في قوله تعالى: ﴿بَصَرَةً وَذَكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ﴾ لأن التذكرة لا تكون إلا للمنيب، والرزق يعم كل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكراً أو شاكراً للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام فلم يخصص بقيد.
 - ٤ - يقول العلماء: تعمل النخلة كنوع من أنواع الروافع حيث يوجد بها قوة متمثلة في جذع النخلة، ومقاومة في الوريقات (السعف) وهي مطوية بصورة مائلة على محورها وعلى محور الورقة (السعفة)، ومحور ارتكان ممثل في مجموع جذري وتدبي متميزة، هذا النوع يمكن من تكوين الجذور العرضية بسرعة، وانتشارها خاصة في التربة الرملية، وهذا الشكل يعطي النخلة قوة ثبات عالية في التربة.
- (معجزة النخيل بين العلم والقرآن: مجلة الإعجاز العلمي: العدد ٢٥).
- ٥ - هلاك المكذّبين تسلية للنبي ﷺ؛ إذ كَذَّبَهُ قومه، وفيه دليل على البعث والجزاء.
 - ٦ - ينبغي تأمُّلُ آياتِ الله في الكون، وما فيها من إتقان وإبداع.
 - ٧ - ينظر: صورة الجبال، كما في الملحق.
 - ٨ - ينظر: صورة النخل الباسقات، كما في الملحق.
 - ٩ - ينظر: خريطة موقع الرس، كما في الملحق.
 - ١٠ - ينظر: خريطة موقع قوم تَّبع، كما في الملحق.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ وَعَلِمَ مَا تُوَسِّعُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾١٦﴿إِذْ يَنْلَفِي الْمُتَقْبِلُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الْإِشَالِ قَعِيدٌ ﴾١٧﴿مَا يَنْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدٌ ﴾١٨﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ بَحِيدٌ ﴾١٩﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾٢٠﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾٢١﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾٢٢﴿وَقَالَ قَرِئْنَاهُ هَذَا مَا لَدَى عَيْدٌ ﴾٢٣﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْدٌ ﴾٢٤﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعَنِّدٌ مُرِيبٌ ﴾٢٥﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا إِلَّاهًا آخَرَ فَالْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾٢٦﴿قَالَ قَرِئْنَاهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلِكُنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾٢٧﴿قَالَ لَا تَخَنَّصُوا لَدَى وَقَدْ فَدَمْتُ إِيَّاكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾٢٨﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَالٍ لِلْعَيْدِ ﴾٢٩﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ أَمْتَلَاتٍ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾٣٠﴾

التفسير:

١٨ - ١٦ - وقسىماً لقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدّث به نفسه سراً، ونحن - بعلمنا - أقرب إليه من العرق الذي في صفحة العنق المتصل بالقلب، حين يكتب المَلَكان الموَكَلان بالإنسان أعماله وأقواله، أحدهما قعيد عن يمينه؛ لكتابة الحسنات، والآخر قعيد عن شماليه؛ لكتابة السيئات، ما يتكلّم الإنسان من قول إلا ويسمعه مَلَكُ يربه في القول والفعل، فهو متابع له لا يفارقه.

١٩ - ٢٢ - وحضرت هذا المكذب بآيات الله سَكْرَةُ الموت بالأمر الحق بشدائدها وأهوالها؛ ذلك الأمر ذو الكرب الذي كنت منه تنفر وتهرب، ونفح المَلَكُ في القرن نفخة البعث الثانية؛ ذلك الوقت الشديد بالأهوال هو يوم الوعيد الذي توَعَّدَ الله به الْكُفَّارُ، وجاءت كُلُّ نفس معها مَلَكُ يسوقها إلى المحسّر، ومَلَكُ آخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا. قسماً لقد كنت - أَيُّها الْكُفَّارُ - في غفلة من هذا المشهد الرهيب، فَأَزَلْنَا عنك الحجاب الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا، وبصرك اليوم قويٌّ نافذ.

٢٣ - ٢٦ - وقال المَلَكُ الموَكَلُ به: هذا ما عندي من كتاب أعمالك حاضر مُهَيَّأً. ثم يأمر الله الملَكين السائق والشهيد: أَلْقِيَا في نار جَهَنَّمَ كُلَّ كافر

مبالغ في التكذيب، معاند للحق، شديد المنع للخير من وصوله إلى مستحقيه، يظلم الناس، يشك في أمر الدين، الذي أشرك مع الله آلهة أخرى فبدها، فأليقها في عذاب نار جهنم الشديد الألم.

٢٧ - ٣٠ . ويحاول التخلص من العذاب بذكر ضلال الشيطان له، فيرد عليه الشيطان: رَبَّنَا مَا أَضْلَلْنَا بَلْ هُوَ كَانَ ضَالِّاً مَعَانِدًا لِلْحَقِّ . فَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: لَا تَتَخَاصِمُوا لِدِيَّ الْيَوْمِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَنذَرْتُكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرَّسُولِ بَعْذَابِيِّ، مَا أُغَيِّرُ حَكْمِي بِعِقَابِكُمْ، وَلَسْتُ ظَالِّمًا حَتَّى أُعَذِّبَ بَدْوَنَ ذَنْبٍ . وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِقَوْمِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ: هَلْ امْتَلَأَتْ؟ فَتَجَبِّبُ: هَلْ مِنْ زِيَادَةٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ؟

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (١٦) إخبار مستقبلي بعلم الله المطلق في الماضي والحاضر والمستقبل، فهو خالق الإنسان، حتى إنَّه يعلم سبحانه ما تحدث به نفس الإنسان، فهو سبحانه أقرب إليه من العرق الذي في العنق المتصل بالقلب.

٢ - قال الدكتور محمد جميل الحبَّال: «حبل الوريد هو جذع الدماغ (Brain Stem). فعبارة (حبل الوريد) لا تعني بالضبط وعاءً دموياً لأنَّ الحبل وهو ما يكون غير مجوف (غير أنبوبي) ولا يمكن أن يسمى حبلًا إذا أصبح مجوفاً . ولقد ربط الله ﷺ في هذه الآية بين وسوسة النفس وبين قربه من حبل الوريد، والوسوسة تحصل في الدماغ. وإنَّ الحبل الذي عن طريقه ترد المعلومات من وإلى الدماغ (ذهاباً وإياباً) هو تبيان لتوريد المعلومات».

٣ - الله تعالى خالق الإنسان، وأعلم بما في نفسه، وأقرب إليه.

٤ - مراقبة الله تعالى ، فالملائكة الموكلان يُسجّلان كل قول وفعل.

٥ - استحضار مشاهِدِ القيمة ، وفيها الرهبة والروعة ، وفيها العظة والعبرة.

٦ - تكشف الحقائق وتنجلي بالموت ، فيرى الإنسان ما لم يكن يراه.

﴿وَأَرْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾٣١﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّلٍ حَفِظِي ﴾٣٢﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَنِيِّ وَجَاءَ يُقْلِبُ مُنِيبٍ ﴾٣٣﴿ أَدْخُلُوهَا إِسْلَامًا ذَلِكَ يَوْمُ الْخَلُودِ ﴾٣٤﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وَكُمْ أَهْلَكْنَا بَاهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَفَقُوا فِي الْلِّيلَدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾٣٥﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾٣٦﴾٣٧﴾

التفسير:

٣٥ - ٣١ - وَقُرِبَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِينَ مَكَانًا غَيْرَ بَعِيدٍ، يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا هُوَ الثَّوَابُ الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَسْنَةِ الرَّسُلِ، لِكُلِّ تَوَابٍ إِلَى اللَّهِ مَطِيعٌ لَهُ، حَفَظَ لِعَهْدِ اللَّهِ، مَنْ خَشِيَ اللَّهُ فِي سَرِّهِ، حِيثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقِيَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ تَائِبٍ مِنَ الذَّنُوبِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ. ذَلِكَ الْيَوْمُ الْعَظِيمُ هُوَ يَوْمُ الْخَلُودِ فِي الْجَنَّةِ أَبْدًا، لَهُمْ فِيهَا مَا يَرِيدُونَ، وَلَدِينَا زِيادةً نَعِيمٌ، أَعْظَمُهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

٣٧ - ٣٦ - وَدَمَرْنَا قَبْلَ مُشَرِّكِي مَكَةَ أُمَّمًا كَثِيرَةً كَوْنُومِ عَادٍ وَثَمُودٍ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَتَسْلُطًا، فَطَوَّفُوا فِي الْبَلَادِ، وَعَمَرُوا وَخَرَبُوا فِيهَا، فَهَلْ مِنْ مَنْجَى مِنْ عَقَابِ اللَّهِ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ الدَّمَارِ لِلْأُمُمِ السَّابِقَةِ لَمَوْعِظَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ يَعْقُلُ وَيَتَدَبَّرُ، أَوْ أَصْغَى السَّمْعَ وَهُوَ حَاضِرُ الْقَلْبِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الترغيب في الجنة ونعمتها المقيم، والحضور على العمل لها.
- ٢ - سعة فضل الله تعالى، وواسع كرمه بعباده المنعمين في الجنان.
- ٣ - فضل الأوبة - أي الرجوع إلى الله تعالى - وحفظ النفس، وحفظ الدين. وصيغة المبالغة ﴿أَوَّلٍ حَفِظِي﴾ تدل على تمكّن الصفة.
- ٤ - وعيد المشركين وتذكيرهم بحال الهالكين من المكذبين.
- ٥ - قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور مَنْ يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله عز وجله». قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، وذلك أن تمام التأثير لما كان

موقوفاً على مؤثر مقتضى، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، فهذا هو المثل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: وجّه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا شرط التأثير بالكلام، قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب». (الفوائد: ١/٣).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُعُوبٍ ٣٨﴾
 ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغَرْوُبِ ٣٩﴾
 ﴿فَسَيِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
 بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخَرْجَ ٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمْتِي وَإِلَيْنَا الْمُصْبِرُ ٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ
 سِرَاعًا ذَلِكَ حَسْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ٤٤ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَمَارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ
 يَخَافُ وَعِيدٍ ٤٥﴾

التفسير:

٣٨ - وقساً لقد خلقنا السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من المخلوقات في ستة أيام، وما أصابنا من ذلك الخلق أيُّ تعب.

٤٢ - ٤٩ - فاصبِرْ - أيها الرسول - على ما يقوله الكفار من الشرك والتکذيب، وسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، وصلٌّ له صلاة الصبح قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل الغروب - وهذا الفرضان كانا قبل الإسراء والمعراج - وصلٌّ من الليل تَهَجُّداً، وسَبِّحْهُ، وأكثُرُ مِنْ ذِكْرِه سبحانه بعد الصلاة المفروضة. واستمع يوم ينادي الملك بالنفخة للبعث من موضع قريب، يوم تسمع الخلائق هذه الصيحة بالحق الذي لا شك فيه. في ذلك اليوم العظيم يخرج الناس من قبورهم أحياء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أمره أن يُسَيِّحَ في أدبار الصلوات كلها، يعني قوله: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾». (صحيف البخاري - كتاب التفسير - سورة ق، باب ﴿وَسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغَرْوُبِ﴾ ٨/٤٦٢ - ٤٦٣ برقم ٤٨٥٢).

٤٣ - إنّا - بما لنا من العظمة الشاملة والقدرة الكاملة - نُحِبِّي الموتى، ونُميت الأحياء في الدنيا، وإلينا مرجعهم يوم القيمة للحساب، يوم تَنْشُقُ الأرض عن الموتى المدفونين بها، فيخرجون مسرعين إلى الداعي. ذلك الإخراج العظيم، وبعثهم وجمعهم سَهْلٌ علينا.

٤٤ - يُهَدِّدُ الله المشركين بسبب افترائهم: نحن أعلم بما يقولون من الكذب على الله، وما أنت - أيها الرسول - بجبارٍ تُكرههم على الإسلام، فذَكْرُ بهذا القرآن مَنْ يخاف ويعيده.

الفوائد والاستنباطات:

١ - الرُّدُّ على ضلال اليهود، وزَعْمُهم أنَّ الله لَمَّا خلق السموات والأرض استراح يوم السبت.

٢ - الدعوة إلى الصبر والتأني، والتزود بالتسبيح والتحميد في الأوقات الفاضلة، فهي خير زاد على هذه الدعوة.

٣ - تسلية النبي ﷺ، وتسرية فؤاده من اهتمامه بدعوتهم، وحُرْبُه على إعراضهم.

٤ - العناية بالمؤمنين المتقيين وتذكيرهم، فهم أرض خصبة، وتربة طيبة تُجْدي فيهم النصيحة، وتنفع الموعظة.

٥ - التسوية بشأن القرآن الكريم وعظيم قدره في مفتاح السورة وخاتمتها، فهو قرآن عظيم الشأن والقدر وإنما يتذكر به ويتعظ مَنْ خاف قائله ووعيده سبحانه ﴿قَوْمٌ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.